الأهرام

المصدر: الوفد

التاريخ: ٢٩ اغسطس ٢٠٠٢

مابعد ماشاكوس.. مرة أخرى!

اشرنا من قبل الى ما جرى بين حكومة الخرطوم، وجورج جارنج من اتفاق المبادئ الذى تم في ماشاكوس، وتداعيات ذلك على السودان ووحدة شعبيه واراضيه، وعلى دول الجوار من حوله، كما اشرنا الى الجولة الثانية من المفاوضات التى تجرى هناك حول تقاسم السلطة والثروة، وتخطيط الحدود، والذى يأتى تمهيدا مسبقا للانفصال المتوقع والذى سيأتى والذى لاراد له، رغم المدة التى تم تقديرها بست سنوات، تبدأ من هذا العام، وتعد آثار ذلك كله رد فعل فى السودان ذاته، تراوح بين الرفض، وبين ضرورة مشاركة كافة القوى السياسية فى بحث هذه المسائل الخطيرة، سواء فى الشمال او فى الجنوب، فلا البشير وحده يمثل كل السودان فى الشمال، ولا جون جارنج يمثل كل الجنوب هناك..

ولابس ذلك اعلان جون جارنج، انه وقواته لن يلقوا سلاحهم قبل وضع ماتم الاتفاق عليه فى ماشاكوس موضع التنفيذ، وان التقسيم وارد لامحالة، اذا لم يقم فى السودان نظام حكم يقوم على اساس فصل الدين عن الدولة وعلى المساواة بين جميع السودانيين فى الحقوق والواجبات وتلك شعارات تتناقض مع ما تم ويجرى الآن فى ماشاكوس، والموضوعات التى يجرى الحديث فيها هناك، قبل الاستفتاء المنتظر.

كذلك، فان رد الفعل في دول الجوار، وعلى الاخص في مصر، قد تفاوت بين المفاجأة، وبين الذعر، وبين من قال اننا لن نكون احرص على وحدة السودان من السودانيين انفسهم، كذلك فان من اصابتهم المفاجأة، فقد طبوا ساكتين، ومن اصابهم الذعر، اشاروا الى المخاطر التى تحيق بالنيل والمياه، خاصة ان المياه فى سبيلها للندرة، وانها ستكون هى سبب التوترات والصراعات في المستقبل القريب، بين دول المجرى والمنابع والمصب، بل فى كل دول المنطقة.

واحسب أن اخطر ما تم فى ماشاكوس، هو انه جرى في اطار التداخلات الاجنبية، وعلى رأس المتدخلين الولايات المتحدة، التى قامت بالضغط والابتزاز على الطرفين، وصولا الى المخطط المرسوم، وهو تفتيت المنطقة واعادة رسم خرائطها وفق المصالح الامريكية فحسب، واسرائيل معها بالتبعية!!

ذلك ان وضع السودان على مقصلة التقسيم، بين شمال وجنوب لن يقف عند حد السودان شمالا وجنوبا فحسب بل انه يمتد الى تقسيم ايضا بين شرق وغرب، كما انه يمتد الى باقي دول الجوار دون استثناء!! فمخطط التقسيم والتهشيم، من شأنه ان يمتد ويتداعى بفعل الضغوط، بل وبغيرها!! رغم ان ذلك يتنافى ويتناقض مع ما اقرته ووقع عليه السودان ذاته، فى اول مؤتمر قمة لمنظمة الوحدة الافريقية، وهى ان الحدود التى وضعت واستقرت منذ ايام الاستعمار، هى الحدود التى ينبغى ان تظل كما هى بين الدول فى افريقيا.

كذلك، فان المخاطر بالنسبة للنهر من منابعه الى مصبه، وحصص الدول في مياهه، وخاصة مصر التى تعتمد كلية على مياه النهر في حياتها كلها، فان هذه المخاطر، يمكن القول بأن مياه النهر تحكمها اتفاقيات دولية معتمدة وموثقة بتوقيعات الدول!! ولكن ما قيمة هذه الاتفاقيات، والولايات المتحدة في سياستها لا تعتد بأى اتفاقيات، ولا تأخذها في اعتبارها عندما تتصادم مع مصالحها

www.ethraadl.com

إثراء المعارف الرقمية

ومخططاتها، فهى كما نري تناقض وتحالف اتفاقيات التجارة الحرة حتي مع حلفائها فى اوروبا، بل هى ايضا تناقض وتخالف معاهدة كيتو التي وضعت توقيعها عليه، واعلنت عدم التزامها بها، رغم انها تمس مصالح العالم وكل الدول وتمس مستقبل الكرة الارضية كلها!!

ولاشك انه رغم المفاجأة والهلع والمخاوف التى انتابت الجميع فى مصر، فان الدور المصرى ينبغى ان يتطور وان ينشط، فوحدة وسلامة اراضى السودان وشعبه، تمثل بعدا امنيا استراتيجيا لمصر بغير شكل ولا انفصال!!

والحق يجب ان يقال، فان الاهتمام المصرى بالسودان، يجب ان يتكافأ مع اهمية السودان امنيا واستراتيجيا بالنسبة لمصر، فقد طال الاهمال فى هذا الصدد، وطال الاهمال اكثر بالنسبة للجنوب بالذات، ولذا فان دور الازهر والكنيسة المصرية وارد، ويجب ان يكون دوراً حضاريا بالدرجة الاولى، كذلك فان بعثات التعليم الى هناك وعلي الاخص بالنسبة للجنوب لا تقل اهمية، وكذلك ضرورة استقبال بعثات التعليم الى مصر، وزيادة المنح التى تقدم اليهم في الشمال والجنوب على درجة من الاهمية فاصبح بناء عشرين مدرسة على الجانبين امر لا يرهقنا كثيراً، كما احسب ان قيام مصر بانشاء واقامة عدة مراكز اسعاف وعلاج، ولنا نموذج هو مستشفيات اليوم الواحد، والتى لاتكلف كثيراً وان كلفت فان التكلفة لا تتناسب مع المردود الكبير على العلاقة بين مصر والشمال والجنوب معاً، حيث ظلت الدعايات ودوائر الاستعمار والهيمنة، تضفى على الدور المصرى - التاريخى - بعداً ان مصر لا يهمها من السودان غير مياه النيل وغير الاستعلاء!!

كذلك، فان الدور المصرى، فضلاً عن ذلك، لا يجب ان يقف عند حد الدور الرسمى والحكومى، انما يجب ان يصاحبه دور فعال من جانب كل مؤسسات ومنظمات المجتمع المدني والاهلى فى مصر، فلا ينبغي ان تتوقف الجهود، انما يجب ان تتضافر كلها، فى تمتين اللحمة والسداة بين شمال السودان وجنوبه، وبين السودان الموحد كله ومصر!!

كذلك، فان المطلوب ايضا بالنسبة لمصر، ان تنشط، نشاطاً عقلانيا، فدور الجامعة العربية هام وضرورى، وكذلك فان دور الاتحاد الافريقى ايضا هام وضرورى، فسيف التقسيم واعادة رسم الخرائط مسلط فوق رقاب الجميع فى المنطقة كلها فالعلاقات بين مصر وكل دول هذه المجالات حيوى وهام وضرورى لمتطلبات المستقبل المنظور!!

ان المنطقة العربية كلها، مازالت تعانى وتدفع ثمن اتفاقات سايكس - بيكو، السرية والتى جرت فى غيبة ومن وراء ظهورنا جميعا، ولا يمكن ان ننام ونسترخى لمخطط التقسيم والتفتيت والتهشيم، الذى تقوم به الولايات المتحدة، دون مبالاة الا بمصالحها، ودون ادنى اعتبار لمصالح المنطقة وشعوبها ومستقبلها.

وباب الاجتهاد مفتوح، فالتحدى والمخاطر، اصبحت تهم الجميع، شعوبا وحكومات، اذ هى تتعلق بالمستقبل بكل تأكيد.

بقلم: عبد العزيز محمد

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية